

## البيئة الاجتماعية وأثرها على شخصية المفسر وتفسيره تفسير ابن كثير للآيات المتعلقة بالمرأة أنموذجاً

عماد سليمان عواد الحيصة\*

### ملخص

يتناول هذا البحث أثر البيئة الاجتماعية على شخصية المفسر وتفسيره، وجاءت الدراسة في مبحثين اثنين، عرض الباحث في المبحث الأول لتعريف البيئة الاجتماعية، وبين أثرها في إصدار المفسر حكماً عاماً على الأشخاص والجماعات، وفيه بيان أثر البيئة الاجتماعية على المفسر في إصدار حكم فقهي.

وفي المبحث الآخر عرض الباحث أنموذجاً لأحد المفسرين الذين تأثروا بالبيئة الاجتماعية، مقتضاها على قضية واحدة في تفسيره، وهي أثر البيئة على ابن كثير في تفسيره للآيات المتعلقة بالمرأة.

**الكلمات الدالة:** البيئة الاجتماعية، التفسير، ابن كثير.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد بذل علماء التفسير جهوداً جباراً في تفسير القرآن الكريم، وتتنوع تفاسيرهم وتعددت، حتى شملت جميع جوانب التفسير وموضوعاته، وبالرغم من هذا الجهد العظيم الذي بذل، إلا أننا نجد أن بعض المفسرين تبنّى في مواضع من تفسيره رأياً لا تدلّ الآية عليه، وفي هذه الدراسة يحاول الباحث بيان أثر البيئة الاجتماعية على المفسر، وكيف أنها كانت سبباً في تبني المفسر لهذا الرأي.

### مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تكمّن إشكالية الدراسة في أنها تجيب عن السؤال الرئيس التالي:

لماذا تبني المفسر هذا الرأي في تفسيره مع أن الآية لا تدلّ عليه؟

والإجابة عن هذه الإشكالية تتم من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

هل للبيئة الاجتماعية دور في تبني المفسر لهذا الرأي؟

هل كان هذا الحكم الصادر من المفسر ردة فعل لظرف أحاط به؟

### أهداف الدراسة:

1- الكشف عن تأثير البيئة الاجتماعية على المفسر.

2- بيان أهمية إعادة دراسة الأقوال التفسيرية.

### أهمية الدراسة:

الإنسان ولد بيئته، يتأثر بما يحيط به من عوامل تؤثر على صياغة شخصيته وبلورتها - والمفسر جزء من هذا الكل - ففي هذه الدراسة يحاول الباحث الكشف عن الصفة البشرية لدى المفسرين، وأنهم كعوم البشّر يتأثرون بما يحيط بهم من بيئات، فتؤثر على تفسيرهم لبعض الآيات، وتكتشف الدراسة سبب تبني هؤلاء المفسرين لهذا الرأي.

\* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 4/10/2016، و تاريخ قبوله 20/2/2017.

### الدراسات السابقة:

لم أثر - في حدود اطلاعي - على بحث مستقل أفرد هذا الموضوع بالدراسة، وقد وجدت أن بعض الباحثين قد تطرق لبعض الأمثلة التي كان فيها للبيئة الاجتماعية أثر في التفسير، وذلك في الدراسات التي نظرت لدراسة شوائب التفسير وانحرافاته.

### منهجية الدراسة:

تبني الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، إذ قام باستقراء عدد من كتب التفسير لاستخراج الأمثلة التي تأثر المفسر فيها بالبيئة الاجتماعية، ثم قام بتحليلها ودراسة مدى تأثير البيئة الاجتماعية للمفسر على رأيه التفسيري.

وسيكون بحثي في مقدمة يتبعها مباحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة والتمهيد: وفيها نبذة عن الدراسة وأهميتها

المبحث الأول: أثر البيئة الاجتماعية على المفسر.

المطلب الأول: تعريف عنوان الدراسة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني - أثر البيئة الاجتماعية في إصدار المفسر حكما عاما على الأشخاص والجماعات.

المطلب الثالث: أثر البيئة الاجتماعية على المفسر في إصدار حكم فقهي.

المبحث الثاني: تفسير ابن كثير للآيات المتعلقة بالمرأة أنموذجا.

المطلب الأول: التعريف بابن كثير وببيئته الاجتماعية.

المطلب الثاني: أثر البيئة الاجتماعية على ابن كثير في تفسيره للآيات المتعلقة بالمرأة.

المطلب الثالث: نماذج من تفسير ابن كثير للآيات المتعلقة بالمرأة.

الخاتمة

### المبحث الأول

#### أثر البيئة الاجتماعية على المفسر

المطلب الأول: تعريف عنوان الدراسة لغة واصطلاحا

#### أولاً: تعريف البيئة

البيئة لغة: مشتق من مادة (بوا).

قال ابن فارس: "الباء والواو والهمزة أصلان: أحدهما الرجوع إلى الشيء، والآخر تساوي الشيئين.

فالأول الباء والمباء، وهي منزلة القوم، حيث يتبعون في قبل واد وسد جبل، والمباءة أيضاً: منزل الإبل حيث تanax في الموارد"<sup>(1)</sup>.

وفي اللسان: "بواهم منزلًا: نزل بهم إلى سند جبل، وأبأّت بالمكان: أفت به، وبأونك بيّتاً: اتخذت لك بيّتاً، وفي القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى وَأَنْجَهُ أَنْ تَبُوا لِقَوْمَكُمَا بِمَصْرُ بَيْوَنَا﴾ (يونس: 87) أي اتخذ، والتبوّء: أن يعلم الرجل الرجل على المكان إذا أعجبه لينزله، وقيل: تبوا فلان منزلًا: إذا نظر إلى أسهل ما يرى، وأشدّه استواءً، وأمكنه لمبيته، فاتخذه<sup>(2)</sup>.

والبيئة اصطلاحاً: "مكان تتوفر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن حي، أو مجموعة كائنات حية خاصة، كالبيئة الاجتماعية والطبيعية والجغرافية"<sup>(3)</sup>، وهي أيضاً: "المنزل والحال، ويقال بيئه طبيعية، وببيئه اجتماعية، وببيئه سياسية"<sup>(4)</sup>، ومن هنا يتبيّن لنا أن البيئة هي وصف لما يحيط بالكائن الحي.

#### ثانياً: تعريف الاجتماعية

الاجتماع لغة: مشتق من مادة (جمع).

قال ابن فارس: "الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمّعاً، والجماع الأشآبه من قبائل شتى"<sup>(5)</sup>.

والاجتماع اصطلاحاً: "علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية، ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها ويقال رجل اجتماعي مزاول للحياة الاجتماعية كثير المخالطة للناس"<sup>(6)</sup>.

ويظهر لي أن تعريف الدكتور حسن عبد المعطي للبيئة الاجتماعية هو أشملها فقد عرفها بقوله: "يقصد بالبيئة الاجتماعية

مجموعة التفاعلات القائمة بين الفرد والجماعات التي ينتمي إليها في السياق الاجتماعي، إذ تعتبر شخصية الفرد نتاجاً لعملية التفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية، من خلال عملية التنمية الاجتماعية، التي تعتبر من أهم العمليات الاجتماعية في تأثيرها على نمو الفرد على الإطلاق، إذ يؤثر نموذج الحياة الاجتماعية وأشكال العلاقات بين أفراد الجماعة، وما يشيع بينهم من عادات وتقالييد وقيم، وما يعيشونه من نظم تنسق هذه العلاقات الاجتماعية في تشكيل بعض الخصائص العامة للشخصية<sup>(7)</sup>. وللبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان تأثير بالغ على تصوراته وقيمه، وهي التي تشكل أفكاره واهتماماته، وتصنف في الغالب الأعم همومه وأطروحاته، وتشكل لديه تفاعلاً تجاه أحداثها إيجاباً أو سلباً، قبولاً أو رفضاً.

ويثبت علماء النفس أن الإنسان يتأثر بما يحيط به من عوامل بيئية، تشكل شخصيته النامية، إذ تنشأ في جوهرها من تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها<sup>(8)</sup>، ففي الوقت الذي يصبح فيه الطفل مستعداً للذهاب إلى المدرسة من حيث السن والنمو، فإنه يكون مستعداً للاعتراف من عالم يقع خارج نطاق أسرته، وفي هذا الوقت يكون قد اكتسب نظاماً سلوكياً يرشده لفترات محددة في هذا العالم الخارجي الجديد، ولذلك فإن البيئة الاجتماعية الأوسع هي التي تقوم الآن بتنصيب هام في عملية التنمية الاجتماعية والتعلم الاجتماعي<sup>(9)</sup>.

### المطلب الثاني: أثر البيئة الاجتماعية في إصدار المفسر حكماً عاماً على الأشخاص والجماعات.

ذكرنا فيما سبق أن الإنسان ولد بيئته، يتأثر بما يحيط به من عوامل تؤثر على صياغة شخصيته وبلورتها، والمفسر جزء من هذا الكل، يتأثر بما يحيط به من عوامل - لا أعني بذلك أنه يحيط عن الحق والصواب - وإنما تؤثر البيئة عليه بأن تجعل تركيزه منصباً على زاوية دون سواها، بفعل الواقع المحيط به، ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: «الأَعْرَابُ أَشَدُ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (التوبه: 97)

أورد الرازي تفسيراً لها قال: "الأول: أن أهل البدو يشبهون الوحش، والثاني: استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجد مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم، والثالث: أنهم ما كانوا تحت سياسة سائس ولا تأديب مؤدب، ولا ضبط ضابط فتشاؤاً كما شاؤوا، ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات فساداً"<sup>(10)</sup>.

وبالنظر إلى ما قاله الرازي نجد غلواً في توصيف الأعراب، فتشبيههم بالوحش، ووسمهم بالته والطيش، وأنهم خرجوا على أشد الجهات فساداً، كل هذه معان لم توردها الآية القرآنية، وللمفسرين في توجيه الآية، وتعليق سبب اعتبار الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، بأسباب غير تلك التي ذكرها الرازي، فهذا ابن عطية يوضح سبب شدة كفرهم، ويعزوه إلى أن بعدهم عن المدينة جعل خوفهم أقل من خوف منافقى المدينة، فألسنتهم مطلقة ونفاقهم أنجم<sup>(11)</sup>.

وهذه صفة عامة لا تختص بصنف من الناس دون غيرهم، فمن أمن العقاب أساء الأدب، ثم إن ثمة سبب لوصف الله لهم بهذا الوصف ذكره كل من القرطبي وابن جزي، فقال القرطبي: "لَمَا ذَكَرَ عَزْ وَجْلَ أَهْوَالِ الْمَنَافِقِينَ بِالْمَدِينَةِ، ذَكَرَ مِنْ كَانَ خَارِجًا مِنْهَا وَنَائِيَا عَنْهَا مِنَ الْأَعْرَابِ، قَالَ: كَفَرُهُمْ أَشَدُ، قَالَ قَتَادَةُ: لَأَنَّهُمْ أَبْعَدُ عَنْ مَعْرِفَةِ السُّنْنِ"<sup>(12)</sup>، أما ابن جزي فعل السبب بقوله: "يعنى أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع بعدهم عن الحاضرة ونفاقهم أنجم<sup>(13)</sup>".

والآيات حينما وصفت الأعراب بأنهم أشد كفراً ونفاقاً، إنما وصفت صنفاً معيناً من الأعراب، وهم منافقو الأعراب من أشد وغطافن<sup>(14)</sup>، بدليل أن الله عز وجل مدح صنفاً آخر من الأعراب، فقال سبحانه: «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَنْهَا مَا يُنْهَىٰ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتٍ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيِّدُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (التوبه: 99) فالقضية إذن أن الآيات أرادت وصف قساوة من خلا قلبه من الذكر وسماع القرآن<sup>(15)</sup>.

والرازي كان متأثراً بما يرى من حال الأعراب في زمانه، فقد امتازت تلك الحقبة الزمنية التي ولد بها الرازي (544هـ) بأنها كانت قلقة سياسياً<sup>(16)</sup>، إذ إن الوهن قد بلغ مداه بالدولة العباسية، فالحروب الصليبية في الشام، واللتار في المشرق، وبلغ الاختلاف بالأمة في زمانه أن زاد على تصارع السنة والشيعة وإراقة دمائهم، أن أريقت الدماء في الصراع بين الشافعية والحنفية، فقد وقعت بينهم حروب كثيرة، وكان أهل الرستاق<sup>(17)</sup> وهم حنفية يجتمعون إلى البلد بالسلاح الشاك، ويصادعون أهل نحلتهم، فلم يغنمهم ذلك شيئاً حتى أفنواهم الشافعية، ولم يبق من الشيعة والحنفية إلا من يخفي مذهبها، ووُجِدَ دورهم كلها مبنية تحت الأرض، ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة وصعوبة المسالك<sup>(18)</sup>.

والرازي عاش هذه الأحداث، فرأى كيف أن أهل الرستاق كانوا يهجمون بسلاحهم على مدينة الري بجموعهم الغفيرة، محاولين إفقاء أهلها والقضاء على الشافعية فيها، والرازي بمذهبه الشافعى أحد هؤلاء المستهدفين، لذا نجد أنه قد استدل بحديث ضعيف على

أن أهل الرستاق في النار<sup>(18)</sup> فقال: "قال عليه السلام: ستة يدخلون النار قبل الحساب، الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد"<sup>(19)</sup>.

ويصف لنا الكريحي (ت346هـ) مدينة الري، تلك المدينة التي ولد وعاش فيها الرازي فيقول: "ويحيط بالري مفازة<sup>(20)</sup>، وهذه مفازة من أكثر المفاوز لصوصاً وفساداً، وذلك أنها ليست في حيّز إقليم بعينه فيرعاها أهل ذلك الإقليم بالحفظ، ومع ذلك فهي مفازة يصعب سلوكها بالخيل وإنما تقطع بالإبل، فاما الدواب للأعمال فلا تسلك إلا على طرق معروفة ومياه معلومة، إن تجاوزوها في إعراض هذه المفازة هلكوا، وللصوص في هذه المفازة مأوى يعتضون به ويأوون إليه، ويخفون فيه المال والذخائر، يعرف بجبل كركس كوه، وكركش اسم المفازة التي تناخم الري وقمة إلى مسيرة أيام من شرقى هذه المفازة"<sup>(21)</sup>.

هذه هي الأسباب التي جعلت الرازي رحمة الله يذكر هذا الرأي في الإغلاط على أهل البدية، ووصفهم بهذا الوصف نتيجة لما كان يرى من أهل الرستاق والبدية في زمانه، وشدت هجماتهم على مدينة الري.

وأثرت البيئة الاجتماعية على التعلبي في تفسيره لقوله تعالى: **رُبُّنَّ لِلَّاَسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثَتِ ذَلِكَ مَنَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** (آل عمران: 14)

فأورد التعلبي تفسيراً لها بقوله: "من النساء": بدأ بهن لأنهن حبائل الشيطان<sup>(22)</sup> وأقرب إلى الافتتان، (والبنين): عن القاسم بن عبد الرحمن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشعث بن قيس: هل لك من ابنة حمزة من ولد؟ قال: نعم لي منها غلام، ولو ددت أن لي به جفنة من طعام، أطعهما من بقي منبني حيلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ولئن قلت ذلك إنهم لثمرة القلوب وقرة الأعين، وإنهم مع ذلك محبنة مخلة مجزنة<sup>(23)</sup>"<sup>(24)</sup>.

والتعلبي في تفسيره لهذه الآية يُمايز بين الذكر والأنثى، معتبراً أن الأنثى حبل من حبائل الشيطان، وأداة يستخدمها لفتنة البشر، ومكمن الخطر يتمثل في أن يظن من يقرأ هذا الكلام، أن الإسلام قد اعتبر أن النساء حبل من حبائل الشيطان، وأنهن الأقرب إلى الافتتان، فيزدري حينها ابنته، ويملا الشك قلبه تجاه زوجته وأخته، فهي حبل الشيطان، وهذا ما كانت الجاهلية تعيشه وتؤمن به، وهو الأمر الذي جاء الإسلام للقضاء عليه، قال تعالى: **وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُّ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** (الأنعام: 151) وذلك حين كانت العرب تقتل بناتها مخافة العار وضيق الرزق<sup>(25)</sup>، ورسم سبحانه وتعالى صورة لتلك المؤودة التي تقتل، تتفق بين يدي ربها تسأل أباها أو أخاها لماذا قتلت؟ قال تعالى: **وَإِذَا الْمُؤْعُودَةُ سُلِّتْ** (8) **بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِّلَتْ** (التوكير: 9-8) وتفسir التعلبي لهذه الآية جاء بلا شك تأثراً بما يحيط به من بيئه اجتماعية تُقدم الذكر على الأنثى.

### المطلب الثالث: أثر البيئة الاجتماعية في إصدار المفسر حكماً فقهياً.

يعيش المفسر في مجتمعات تمارس في كثير من الأحيان عادات خاطئة، فتشكل هذه الممارسات ردة فعل عند المفسر فيستدل الآية على تحريم هذا الفعل، ومن الأمثلة على تأثر المفسر ببيئته الاجتماعية ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** (الإسراء: 37)

قال: "استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه، قال الإمام أبو الفداء ابن عقيل قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال: **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا وَلَا تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**"<sup>(26)</sup>.

والآية واضحة الدلالة على معناها، فإن فيها توجيهاً رأيناها أن لا تمشي في الأرض مختالاً مستكبراً<sup>(27)</sup> وفضل المصدر على اسم الفاعل في قوله (مرحاً) لما فيه من التأكيد على أنك لن تخرق الأرض بدوشك لها وشدة وطأتك<sup>(28)</sup>.

والقرطبي وإن كان قد ولد في الأندلس في مدينة قرطبة، إلا أنه انتقل منها إلى بلاد مصر، ومصر في ذاك الزمان كانت تتع بالصوفية ويدعوها، وقد أنكر القرطبي ذلك حين سُئل عن الصوفية هل يجوز الاجتماع إليهم فقال: "مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلاله، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنته رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدهما أصحاب السامري لما اتذ لهم عجلة جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعبد العجل..."<sup>(29)</sup>.

ومما يزيد الأمروضوحاً في بيان أثر البيئة الاجتماعية على المفسر ما ورد في تفسير قوله تعالى: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَنْهَا هُرُوا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِمِّ** (القمان: 6)

ابتداءً نقر أننا هنا في موضع بيان الرأي الراجح في مسألة الموسيقى والغناء، واختلاف العلماء في حلها وحرمتها، وإنما نريد أن ندرس تأثير البيئة الاجتماعية على المفسر.

استدل البعوي<sup>(30)</sup> بهذه الآية على حرمة الغناء والموسيقى، والآية ابتداءً نزلت في النصر بن الحارث الداري، كان يشتري كتب

الأعاجم فارس والروم وكتب أهل الحيرة، ويحدث بها أهل مكة، وإذا سمع القرآن أعرض عنه واستهرا به<sup>(31)</sup>، والذين استدلا بنزلوها في الغناء بإسناد القول إلى مجاهد (ت 104 هـ) فاتهم أن يرجعوا إلى تفسير مجاهد، ففي تفسيره لهذه الآية قال: " هو اشتراط المعني والمغنية بالمال الكثير والاستماع إليهم وإلى مثاله من الباطل "<sup>(32)</sup>، وكلام مجاهد جاء في معرض ذكر المثال، وليس في ذكر سبب نزول الآية، والآية عامة في كل ما يلهي، فإن " اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يُعني، وهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان، ونحو الغناء وتعلم الموسيقار "<sup>(33)</sup>.

فالغناء وتعلم الموسيقى جاءت هنا كنوع من أنواع الملهيات، وقوله تعالى: (ليضل) جاءت تثبيتاً لهذا المعنى، فإن النصر كان غرضه شراء اللهو للصد عن دين الله، وصرف الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الاستماع للقرآن الكريم، وأوجز ابن جزي حين قال: " نزلت في النصر بن الحارث، وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه، فالشراء على هذا مجاز، وقيل لهو الحديث: الطبل، وقيل: الشرك، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه لهو مضارف إلى الكفر بالدين واستخفاف به، لقوله تعالى: ﴿لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾"<sup>(34)</sup>.

وبحسب الرجوع إلى معنى "اللهو" لغة نجد ابن فارس (ت 395 هـ) عرفا بقوله: (لهو): اللام والهاء والحرف المعتل أصلان صحيحان: أحدهما يدل على شغل عن شيء بشيء، والأخر على نبذ شيء من اليد<sup>(35)</sup>.

ومن يتأمل ما سبق، يجد أن الآية جاءت عامة في كل شيء يملا على الإنسان قلبه، فيشغله عن سماع القرآن وإتباع الحق، والذين فسروا الآية بالغناء والموسيقى، كانوا متأثرين بما يروا من تعلق قلوب الناس في زمانهم بالغناء والموسيقى، فالبغوي ولد سنة 433 هـ ومات سنة 510 هـ وفي هذه الفترة عم الغناء والطرب، واستفحلا الأمر حتى كان لكل خليفة الجواري والمغنيات، وبلغ بهن الأمر أن كن يشهدن موت الخليفة وتولية ولـي العهد<sup>(36)</sup>، ويروي ابن كثير أن أمير المؤمنين المقتدى بالله لما استلم الخلافة، نفى عن بغداد المغنيات وأرباب الملاهي والمعاصي<sup>(37)</sup>، ومن شدة ما أصاب الأمة من البلاء وعموم الفاحشة أن سـنـ السلطـانـ في سـنـهـ 724 هـ مرسـومـاـ بـإـبـطـالـ المـلاـهـيـ بـالـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ، وـحـبـسـ النـسـاءـ الزـوـانـيـ، وـذـكـرـ بـعـدـ أـنـ اـجـتـاحـتـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ الـأـمـرـاـضـ وـاحـتـرـفـتـ الـقـاـفـهـ<sup>(38)</sup>، وهي الفترة الزمنية التي كان القطبـيـ فيهاـ فيـ مصرـ قـبـلـ وـفـاتـهـ سـنـةـ 677ـ هـ وهيـ أـيـضاـ نـفـسـهاـ الـفـتـرـةـ الـتـيـ عـاـشـ فـيـهاـ بـكـثـيرـ، فـلـاـ غـرـابـةـ إـذـنـ أـنـ يـكـونـ تـوـجـيـهـ هـوـلـاءـ الـعـلـمـاءـ لـهـذـهـ الـآـيـةـ هـذـاـ التـوـجـيـهـ.

## المبحث الثاني

### تفسير ابن كثير لآيات المتعلقة بالمرأة أنموذجًا

#### المطلب الأول: التعريف بابن كثير وببيئته الاجتماعية

هو الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصري ثم الدمشقي، ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة (701 هـ)، ثم انتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة (707 هـ) بعد موت أبيه " حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة (711 هـ)، واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير، وأخذ عن ابن تيمية فتمن بحبه، وامتحن لسببه، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاهيم، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته "<sup>(39)</sup>.

وفي السنوات القليلة<sup>(40)</sup> التي سبقت ميلاد ابن كثير حصل بالشام جرائم عظيم أكل الزروع والشمار، وجرد الأشجار حتى صارت كالعصي، ولم يُعهد مثل هذا<sup>(41)</sup> واشتتد الغلاء بالناس، وهلكت معظم الدواوib لعدم العلف حتى أنه لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطط لكثرتها أكلها من الناس، وأكل الناس الميته من الكلاب والمواشي، ومن غريب ما كتب عن تلك الفترة أن الناس قد أكلت الموتى، وأكل النساء أولادهن الموتى<sup>(42)</sup>، وبلغ الظلم مبلغه في الفترة التي عاشها ابن كثير، وذلك بسبب انعكاس تنافس الأمراء فيما بينهم على الإقطاعيات، وتجرؤهم على بيت مال المسلمين، والزم كثير من التجار التنازل عن حقوقهم في بيت مال المسلمين تحت التهديد والوعيد، وبلغ من شناعة التعذيب أن كان يُنعل الرجل في قدميه كما يُنعل الفرس، وكان الرجل يُعلق في خطاف من حديد حتى الموت<sup>(43)</sup>، وفي سنة 744 هـ كثر الفساد وشاع المجاهرة بالخمور وأنواع الفسق بدمشق، وبلغ التردي مستوى عظيماً على ما رواه المقريزي (845 هـ)<sup>(44)</sup>.

#### المطلب الثاني: أثر البيئة الاجتماعية على ابن كثير في تفسيره لآيات المتعلقة بالمرأة.

تردى حال المرأة في الأزمان السابقة لميلاد ابن كثير، وانحصر دورها في رعاية بيتها وأبنائها، وتوقف حقها على أن تلقى معاملة

حسنة من زوجها فلا يظلمها ولا يجور عليها إذ "يجب على العقلاء أن يكونوا رحماء على النساء، ولا يظلمونهن ولا يجوروا عليهن فإن المرأة أسير الرجل، ويجب على الرجال مدارات النساء لنقص عقولهن، وبسبب نقص عقولهن لا يجوز لأحد أن يتذر برأيهن، ولا ينافت إلى أقوالهن" (45).

هذه كانت عبارة الغزالى، يلخص فيها حال المرأة في زمن الدولة السلجوقية، وهي الفترة الزمنية التي سبقت ابن كثير بقليل، ويرى الوزير السلجوقى نظام الملك وجوب إبعاد النساء عن التدخل في شؤون الدولة، وبين الوزير رأيه هذا على شكل استقراء تاريخي يقول فيه: "لقد اختط الملوك وأولوا العزم من الرجال لأنفسهم طرفاً، وعاشوا حياة لم يكن للنساء أو وصيفاتهن فيها أدنى علم بأسرارهم، وقضوا حياتهم في منأى عن قيودهن، وأهوانهن وأوامرهن ولم يقعوا تحت رقابة نيرهن قط، وبحذر من نتائج وصولهن إلى مواقع السلطة بقوله: إن كل من يجعل النساء قيمات على الرجال يستحمل وحده جرم أي خطأ أو انحراف، لأنه هو الذي سمح بذلك وتحطى العادة المتبعة" (46).

ويلخص ابن كثير حال بعض النساء في زمن المقتدى بقوله "وفي شعبان آخر المفسدات من الخواطئ من بغداد، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة، وخرب الخمارات دور الزواني والمغاني، وأسكنهن الجانب الغربي مع الذل والصغار" (47). وما روى عن اهتمام النساء بكل ما فيه ترف (48)، أن الخوانين نساء السلطان وجواريهن، أحذنن قمصانا طوالا تخب أذيالها على الأرض بأكمام، سعة الكم ثلاثة أذرع فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجليها، وعرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، وبلغ المتصروف فيه ألف درهم فما فوقها، وتشبه نساء القاهرة بهن في ذلك حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك، وأبطنن الإزار البغدادي وأحذنن الإزار الحرير بألف درهم، وأن حُف المرأة بخمسة درهم، فأفتقى العلماء بأن هذا من الأمور المحرمة التي يجب منعها، وصدرت القوانين بمنع النساء من لبس ذلك، وصودرت أموال كل من صنع هذا النوع من اللباس والخفاف، فانقطع خروج النساء إلى الأسواق (49).

### المطلب الثالث: نماذج من تفسير ابن كثير للآيات المتعلقة بالمرأة.

أولاً: في تفسير قوله تعالى: «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» (النساء: 34) قال ابن كثير: "الرجل قيم على المرأة أي: هو رئيسها وكبيرها وحاكم عليها ومؤدبه إذا اعوجت، (بما فضل الله) أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لن يفلاح قوم ولوا أمرهم امرأة" (50) (51).

استدل ابن كثير بهذه الآية على أن الرجال أفضل من النساء، والمفسرون لهم توجيه لهذه الآية يخالف ابن كثير فيما ذهب إليه، فالرازي يقول: "اعلم إنه تعالى لما قال: «وَلَا تَنْمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا أَكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (النساء: 32)، إن سبب نزول هذه الآية أن النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهم في الميراث، فذكر تعالى في هذه الآية أنه إنما فضل الرجال على النساء بالميراث، لأن الرجال قوامون على النساء، والقوام اسم لمن يكون مبالغًا في القيام بالأمر يقال: هذا قيم المرأة وقوامها للذى يقوم بأمرها ويهتم بحفظها" (52). ومعنى القوامة لغة ذكره ابن منظور فقال: "وقيم المرأة: زوجها في بعض اللغات يقوم بأمرها وما تحتاج إليه والقيام بمعنى المحافظة والإصلاح" (53).

والآية تدل على أن للرجل على المرأة حق الطاعة، فهو الذي يمتلك حق التوجيه، فهو ريان السفينة وقادتها، والبيت يحتاج إلى قائد يقوده ويوجهه، ويحتاج إلى أمر واحد لمنع اختلال الميزان داخل البيت، وحتى لا تسوده حينها الفوضى، "فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آرائهم ورغباتهم في الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف، لئلا يعمل كل على ضد الآخر، فتقتصم عروة الوحدة الجامعية، ويختل النظام، والرجل أحق بالريادة لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف" (54).

وسياق الآيات يتحدث عن شكوى النساء من نقضيل الرجال عليهم بالميراث والجهاد، فجاءت الآيات الكريمة لتوطن نفسية كل من الرجل والمرأة ليرضى بما خلقه الله له، فالرجل له مهامه التي خلق لها، والمرأة لها مهامها أيضا، وليس لأحد فضل على أحد فكل يكمل دور الآخر.

ثم يبين سبحانه أن القيادة داخل الأسرة الواحدة هي بيد الرجل، وأن سبب ذلك هو ما فضل الله به الرجل من قوة الجسد والقدرة

على النفقة، وبما فضل به المرأة من الصبر على تربية الصغار وتحمل الأعباء المناطة بها من إعداد الطعام، وترتيب للبيت وعناية بصغارها، لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنْمِلُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء:32) فكل ميسر لما خلق له. ثم إن الآية تعلل سبب القوامة وهي: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أُمُولِهِمْ﴾ (النساء: 34) فمالك المال منحكم، وليس في الآية ما يشير إلى أن الرجل خير من المرأة، وأنه أفضل منها، أو أن نقصان عقلها أزرى بها.

ثانياً: وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْمَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيلَةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: 18) قال ابن كثير: "المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلاً، وإذا خاصمت فلا عباره لها، بل هي عاجزة عبيه، أؤمن بكون هكذا يناسب إلى جانب الله عز وجل، فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص" (55).

وتحليل مفردات الآية يشير إلى غير ما ذكره ابن كثير، ف قوله تعالى: (أَوْمَنْ يُنْشَأُ) أي: يُربى ويُشبب، والنشوء: التربية (56)، والآية الكريمة تتحدث عن عادة العرب في تربيتهم لبناتهم، والقراءة الواردة في قوله تعالى: (يُنْشَأُ) تشير إلى هذا المعنى، فرأى حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر "يُنْشَأُ" بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يُربى ويُبكر في الحلية، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو وابن عامر (يُنْشَأُ) بفتح الياء والتحقيق (57) أي يُرسخ وينبت، وأصله من نشأ أي ارتفع، والحجۃ لمن خفف، أنه جعل الفعل من قولهم: نشأ الغلام فهو ناشيء، والحجۃ لمن شدّد، أنه جعل الفعل لمفعول به لم يسم فاعله (58).

وقوله تعالى: (في الحلية)، قال ابن فارس: (حل) الحاء واللام وما بعدها معتن، ثلاثة أصول: فالأول: طيب الشيء في ميل من النفس إليه، والثاني: تحسين الشيء، والثالث: تتحية الشيء (59)، والشاهد هنا هو الأصل الثاني، فالمرأة في أصل فطرتها تميّل إلى الزينة والتزيين، وتدفعها البيئة المحيطة بها إلى طلب الحلية للتزيين بها وتتجمل في أعين الناس.

وقوله تعالى: (غير مبين) قال ابن فارس: (بين) الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بعد الشيء وانكشافه، فالبين الفراق، وبيان الشيء وأبيان إذا اتضحت وانكشف، وفلان أبيان من فلان، أي أوضح كلاماً منه (60)، وبيان الشيء ببيان: اتضحت، فهو بين، والجمع أبيان، مثل هين وأهيناء، وكذلك أبيان الشيء فهو مبين (61).

ويشير هذا المعنى اللغوي إلى طبيعة أصيلة في المرأة خلقها الله عليها، وجبلة هي فيها أصيلة وهو انخفاض صوتها وضعف ونيرته لذا جاء ذكر الخصم، والآية متصلة بسياقها من الآيات، فإن الكافرين ادعوا أن الله اصطفى لنفسه من عباده جزءاً، وعادة العرب أن تفضل الذكر على الأنثى، وحينما أصق الكافرون بالله الإناث، إنما أرادوا أن يلحوظوا به سبحانه ما هو عار عندهم ونقيصه (62)، فجاءت هذه الآية لتبين أن ما أحقرتموه بالله جاء على سبيل إلحاد النقص بالله، فإن أحدهم إذا بشر بالأنثى يسود وجهه غضباً وحنقاً (63)، وهذه الأنثى التي تترى بعيداً عن مواطن القتال والصراع، فتتشاءم في رغد الحياة، لا تقدر على حمل سلاح، ولا على رد غاز (64)، ومن ثم هي تمنع مجالس الخطابة والشعر، فتشاءم ضعيفة اللغة والتعبير، والتاريخ شاهد بذلك فإن الشعراء من الإناث لا يكاد عدهن يتجاوز أصابع اليد الواحد مقارنة مع الشعراء من الرجال، وليس في الآية كما قال ابن كثير دلالة على نقص المرأة وعجزها، وإنما جاءت الآية رداً على الكافرين.

ثالثاً: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْنِثُوا السُّفَهَاءَ أُمَوَالَمُّتَّيَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَأَرْرُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوْهُمْ وَقُوْلُوا لَهُمْ قُوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: 5) قال ابن كثير "تهى تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً، أي: تقوم بها معايشهم من التحارات وغيرها، ومن ها هنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحجر للصغر؛ فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة يكون الحجر للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأله الغرماء الحاكم الحجر عليه، حجر عليه" (65)، وهذا حكم فقهى تبناه ابن كثير؛ وهو أن السفهى يؤجر على ماله لصغر سنّه، أو نقص في عقله، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في الحجر على من نقص عقله ودينه ويقصد بذلك النساء، وابن كثير كما مر معنا سابقاً يعتبر أن المرأة ناقصة غير مؤهلة لتدير مالها والتصرف فيه، لذا اعتبر السفهاء هم الصبيبة والنساء، فقال: "والسفهى: هو الجاهم الضعيف الرأى القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار، ولهذا سمى الله النساء الصبيبة والنساء، سفهاء" (66)، ومعنى السفه لخصه ابن فارس بقوله: "(سفه) السين والفاء والهاء أصل واحد، يدل على خفة وسخافة" (67)، وهذا ينطبق على كل من الرجل والمرأة فمن كان غير قادر على تدبر ماله لخفة فيه أو سخافة يعتبر سفهاء، وقول من خصها بالنساء يضعف من جهة الجمع، فإن العرب إنما تجمع فعيلة على فعائل أو فعيلات (68)، وتوجيه هذه الآية هذا التوجيه من ابن كثير جاء تأثراً بواقع المرأة في زمنه، وإنما المرأة مثلها مثل الرجل، لها مطلق الحق في التصرف بالمال والمحافظة عليه، وإنما يحجر على من كان خفيف العقل سانجاً غير قادر على تصریف المال وتدبره.

وأكفي بهذا القدر من الأمثلة التي توضح تأثير ابن كثير بالبيئة الاجتماعية في نظرته للمرأة.

### الخاتمة

خلصت الدراسة إلى ما يلي:

- 1- تأثر بعض المفسرين بالبيئات المحيطة بهم، وأصدروا تحت تأثير البيئة الاجتماعية أحكاما عامة في حق أشخاص وجماعات، فقد عمم الرازي حكمه على البدو معتبرا إياهم يشبهون الوحوش في تيئهم، وأصدر الثعلبي حكمه باعتبار المرأة حبل من جبال الشيطان.
- 2- كان للبيئة الاجتماعية دور بارز في توجيه المفسر نحو إصدار حكم فقهي عام، فقد أصدر القرطبي حكما بتحريم الرقص، تأثرا بما كان يراه من رقص الصوفية وانتشار بدعهم.
- 3- تأثر ابن كثير بالبيئة الاجتماعية في نظرته للمرأة إذ اعتبرها أقل شأنها من الرجل.
- 4- انعكس تأثير البيئة الاجتماعية على ابن كثير في اعتباره المرأة سفيهة لا يحق لها التصرف بمالها ولا إنفاقه.

### الهواش

- (1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 1، ص 313.
- (2) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى الإفرقيى العرب (ت 711هـ)، لسان العرب، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2003م، ج 1، ص 38.
- (3) عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 2008 م، ج 1، ص 258.
- (4) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج 1، ص 75.
- (5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 480.
- (6) مصطفى، المعجم الوسيط، ج 1، ص 135.
- (7) عبد المعطي، علم نفس النمو، ج 1، ص 134.
- (8) صادق، آمال صادق، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ط 4، ج 1، ص 123.
- (9) عبد المعطي، علم نفس النمو، ج 1، ص 253.
- (10) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي (ت 606هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، ط 3، ج 16، ص 125.
- (11) أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1422هـ، ج 3، ص 73.
- (12) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط 2003م، ج 8، ص 231.
- (13) ابن جزي، محمد بن احمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت، ط 1، ج 1، ص 346.
- (14) الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ)، فتح الدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، ط 1، 1414هـ، ج 2، ص 451.
- (15) عبد العزيز المجدوب، الإمام الحكيم فخر الدين الرازي من خلال تفسيره، دار سخنون، ط 1، ص 29.
- (16) يقول ياقوت الحموي "الذي عرفناه وشاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن" معجم البلدان، ج 1، ص 38.
- (17) أنظر الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995م، ج 3، ص 117.
- (18) الرازي، التفسير الكبير، ج 3، ص 145.
- (19) أورده الدليمي في فردوس الخطاب (3309) من حديث أبي هريرة، وأسنده ابن حجر في تسديد القوس عن ابن عمر وعن أنس، قال العراقي في المغني: (ج 3، ص 188) أخرجه أبو منصور الدليمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين.

- ويقال للبادية: مفازة، قال الأصمسي: إنما سميت: مفازة، وهي مهلكة، تقألاً لصحابها بالفوز، الأنباري (ت 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج 1، ص 381.

الكريخى، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت 346هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004 م، ص 228، لبنان.

قال الألبانى: ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة (2059 و 2464)، الألبانى (ت 1420هـ)، ج 5، ص 483.

الحديث "الولد ثمرة القلب وإنه مجينة مبخلة محزنة" فيه عطية العوفى وهو ضعيف، وعن يعلى بن ماجة رقم (3666) بلفظ جاء الحسن والحسين يسعين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال: "إن الولد مبخلة مجينة" وفي سنته سعيد بن أبي راشد لم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد صححه العراقي، والبصيري، والحاكم 164/3، وأقره الذهبى. وعن الأسود بن خلف عند البزار نحوه. قال الهيثمى في "المجمع" 155/8: رجاله ثقات نقول: والحديث بهذه الشواهد يصح. عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لكتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول لمؤلفه مجد الدين الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، ج 1، ص 414.

الثعلبي، الكشف والبيان، ج 3، ص 23.

ورد أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ حَشِيدَةٌ إِمَّا لَدُنْ تَرْزُقُهُمْ وَإِمَّا لَمْ يَقْلُمْ كَانَ خَطْنًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: 31.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 263.

أنظر الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار هجر للطباعة والنشر، ط 1، 2001 م، ج 17، ص 449.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 528هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربى، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، ج 2، ص 667.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 238.

قال البغوى (ت 510هـ) في تفسيره لهذه الآية قال "قال مكحول: من اشتري جارية ضرابة ليمسكها لغناها وضربيها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَيْثِ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَنْهَا هُرُوا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (القمان: 6) وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: لهو الحديث هو الغناه والأية نزلت فيه "البغوى"، مالام التنزيل، ج 3، ص 86.

انظر الوادى، أسباب النزول، ج 1، ص 356.

مجاهد، تفسير مجاهد، ج 1، ص 541.

الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 490.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 2، ص 137.

(لهم) اللام والهاء والحرف المعتل أصلان صحيحان: أحدهما يدل على شغل عن شيء بشيء، والآخر على نبذ شيء من اليد، فالأول لله، وهو كل شيء شغلك عن شيء، فقد ألهاك... وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد لهى عن الحديث الذي يقول: تركه وأعرض عنه، وقد يكتن بالله عن غيره. قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَرِدْنَا أَنْ نَنْتَذِلَ لَهُو﴾ [الأبياء: 17]. وقال الحسن وقتادة: أراد بالله المرأة، وقال قوم: أراد به الولد.

وأما الأصل الآخر فاللهوة، وهو ما يطرحه الطاحن في ثقبة الرحى بيده، والجمع لهى، وبذلك سمي العطاء لهوة ابن فارس مقاييس اللغة، ج 5، ص 213.

مات الخليفة المقىدى في حجرته بعد أن تناول طعامه، وغسل يده ووقع العهد، وليس عنده من أحد سوى قهرمانة تسمى شمس الدين.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، البداية والنهاية، المحقق: علي شيري الناشر: دار إحياء التراث العربى، ط 1، 1988 م، ج 12، ص 179.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 180.

السيوطى، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، مصر، ط 1، 1967 م، ج 2، ص 301.

أنظر العسقلانى، ابن حجر العسقلانى (ت 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط 2، 1972 م، ج 1، ص 445-446.

سنة 695هـ وما بعدها

بدر الدين العينى، أبو محمد محمد بن أحمد (ت 855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج 1، ص 405.

المقرىزى، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997 م، ج 2، ص 267.

انظر المقرىزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 187 وما بعدها.

وكان من شدة تدبره الفكري، أن عمت الخرافية والدحل، حتى اشتراك فى ذلك نساء السلطان، مع عامة الناس، فارتادوا الدجالين، وعم بلاده.

- السحر والشعودة، ووصل إلى حد الاحترب بين الجندي وجموع المشعوذين وشركائهم. أنظر المقرizi، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ص 402.
- (45) الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (ت 505هـ)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1988م، ج 1، ص 130.
- (46) الصالبى، علي محمد محمد، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبي، اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 2006م، ج 1، ص 273.
- (47) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 111.
- (48) وذلك سنة 750هـ في مصر والشام.
- (49) انظر المقرizi، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 4، ص 111.
- (50) البخاري، الجامع الصحيح، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، ج 6، ص 8، رقم 4425.
- (51) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 292.
- (52) الرازي، التفسير الكبير، ج 10، ص 70.
- (53) ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 502.
- (54) رضا، محمد رشيد (ت 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 2، ص 301.
- (55) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 223.
- (56) ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 171.
- (57) البغدادي، أحمد بن موسى بن العباس (ت 324هـ)، كتاب السبعة في القراءات، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 2، 1400هـ، ج 1، ص 584.
- (58) بن خالويه، الحسين بن أحمد (ت 370هـ)، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط 4، 1401هـ، ج 1، ص 320.
- (59) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 95.
- (60) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 328.
- (61) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 67.
- (62) انظر الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 21، ص 580.
- (63) انظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن ملا اللويحى، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م، ج 1، ص 763.
- (64) وهذا مما كان يُعاب عند العرب في حق الرجال، فإن العرب تفتخرون بالغزو ورده، وتعتبر العجز عن حمل السلاح نقصاً ومجلبة للعار.
- (65) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 214.
- (66) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 182.
- (67) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 79.
- (68) انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 2، ص 10.

## المصادر والمراجع

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، تحقيق: علي عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية، ط 1.
- الألبانى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1992م.
- أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1412هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغدادي، دار ابن كثير، بيروت، ط 3، 1987م.
- بدر الدين العينى، أبو محمد محمود بن أحمد (ت 855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

- البعوي، أبو محمد الحسين بن مسعود(ت516هـ)، معلم التنزيل، تحقيق محمد عبدالله النمر وأخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.
- الشعبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد، الكشف والبيان، تحقيق الإمام أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م.
- ابن جزي، محمد بن احمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقمن، بيروت، ط1.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
- أبو حيyan الأندلسى، محمد بن يوسف (ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت606هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، ط3.
- رضا، محمد رشيد (ت1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت528هـ)، الكشاف عن حفائق غواصات التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدى.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(ت1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- السمرقدي، أبو الليث نصر بن محمد(ت373هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- السيوطى، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلى وشراكه، مصر، ط1، 1967م.
- الشوكاني، محمد بن علي(ت1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرية من علم التفسير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1414هـ.
- الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 2001م.
- الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (ت505هـ)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.
- عبد المعطي، حسن مصطفى، علم نفس النمو، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن العربي، القاضى محمد بن عبد الله أبو بكر (ت543هـ)، المسالك في شرح موطأً مالك، تحقيق: محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، ط1، 1428هـ، 2007 م
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- العسقلانى، ابن حجر العسقلانى(852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط2، 1972م.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م.
- ابن فارس، أبو الحسين احمد بن فارس(ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخارى، دار عالم الكتب، الرياض، ط2003م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ)، البداية والنهاية، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م
- الكرخي، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت346هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004 م.
- المقرنizi، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- ابن منظور، جمال الدين أبا الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي(ت711هـ)، لسان العرب، تعليق: عامر احمد حيدر وعبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- الواحدى، أبي الحسن علي بن احمد الواحدى(ت468هـ)، أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.

## **The Social Environment and its Impact on the Personality of the Interpreter and His Interpretation Tafsir Ibn Katheer for Verses Related to Women is a Model**

*Emad S.A. Al-Hasa\**

### **ABSTRACT**

This research addressed the impact of the social environment on the personal interpreter and interpreted. This study came to study two sections; the researcher at the first part tried to state the definition of the social environment, and the statement of its impact on the issuance of judgment concerning persons and groups, and which demonstrate the impact of the social environment on the interpreter to issue jurisprudential rule.

In the second section, the researcher showed a model for one of the commentators who have been affected by the social environment, limited to a single case in the interpretation of an environmental impact on Ibn Kathir in his interpretation of many verses concerning women.

**Keywords:** Social Environment, Interpretation, Ibn Kathir.

---

\* Faculty of Shari'a, The University of Jordan. Received on 4/10/2016 and Accepted for Publication on 20/2/2017.